

أضواء البيان

@ 277 سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض في آيات من كتابه ؛ كقوله تعالى : {
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } ،
وقوله تعالى : { وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ } ، وقوله تعالى :
{ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَّهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } . . .
وقد قدّمنا الآيات الموضحة لمعنى تسخير ما في السماوات لأهل الأرض في سورة (الحجر) ،
في الكلام على قوله تعالى : { وَحَفِظْنَا هَآءَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } . . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا } ، قد قدّمنا
الآيات الموضحة له في سورة (الحج) ، في الكلام على قوله تعالى : { اللَّهُ يَصْطَفِي
مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } . . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { فَطَوَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } ، أي : خالق
السماوات والأرض ، ومبدعهما على غير مثال سابق . . .
وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة : قال سفيان الثوري ، عن
إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كنت لا أدري ما
فاطر السماوات والأرض ، حتى أتاني أعرابيٌّ يختصمان في بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : أنا
فطرتهما ، أي : بدأتها . { مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا يُرْسِلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } . ذكر جلّ وعلا في
هذه الآية الكريمة أن ما يفتحه للناس من رحمته وإنعامه عليهم بجميع أنواع النعم ، لا
يقدر أحد كائنًا ما كان أن يمسكه عنهم ، وما يمسكه عنهم من رحمته وإنعامه لا يقدر أحد
كائنًا من كان أن يرسله إليهم ، وهذا معلوم بالضرورة من الدين ، والرحمة المذكورة في
الآية عامة في كل ما يرحم الله به خلقه من الإنعام الدنيوي والأخروي ، كفتحه لهم رحمة
المطر ؛ كما قال تعالى : { فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } . . .
وقوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ * بُشْرًا بَيِّنَ يَدَايْ
رَحْمَتِهِ } ، وقوله